رجلٌ اعتاد ضربَ رأسي بمظلة

(1)

إعتاد رجلٌ أن يضربني على رأسي بمظلة، ويحدثُ ذلك منذ خمس سنوات، حتى الآن. لم أستطع أن أوقفه في بداية الأمر، أما الآن، فقد اعتدتُ على ذلك.

إنني لا أعرفُ له اسمًا، ومظهره اعتيادي، ويرتدي حُلَّةً رمادية اللون، وصدغاه رماديان، ولا شيء مميز في وجهه. وقد قابلته ذات صباح خانق، قبل خمس سنوات، حيث كنتُ أجلس على مقعد تظلله شجرةٌ، بحديقة باليرمو، أقرأ الصحيفة، وفجأةً، أحسستُ بشخصٍ يلمس رأسي. كان هو ذات الرجل الذي يواصل، الآن وأنا أكتبُ، وبشكل آليٍّ، وبلا هوادة، ضربي مستخدمًا مظلَّة.

في تلك المرة، استدرتُ ساخطًا، فلم يأبه، واستمر يضربني. سألته هل أنت مخبول، فبدا أنه، حتى، لم يسمعني، فهددتُه باستدعاء شرطي. ظل، كثمرة خيار باردة، محتفظًا بتماسكه، ماضيًا في مهمته. وبعد تردد دام لحظات قليلة، وقد رأيتُ ألاَّ أمل في أن يغير سلوكه، انتفضتُ واقفًا ولكمتُه في أنفه.

سقط الرجلُ على الأرض، وندَّ عنه أنين لا يكادُ يُسمع. ولم يلبث أن عاد، بجهد كبير، واقفًا على قدميه، وبدأ، دون أن ينبسَّ بكلمة، يضرب رأسي بالمظلة، بينما أنا أشعر نحوه بالأسف لأن أنفه كان ينزف. وانتابني ندمٌ

لاضطراري إلى ضربه بهذه القوة، إذ أنه لم يكن يقصد أن يضربني، وإنما أن ينقرُ بمظلته على رأسي، بخفةٍ، دون أن يؤلمني على الإطلاق.

وبطبيعة الحال، فقد كانت تلك النقرات مزعجة للغاية؛ فكلنا يعرفُ أنه إذا حطَّتْ ذبابةٌ على جبينك لا يتسبب عنها أي ألم إطلاقًا، ولكن ما تشعر به هو الانزعاج. إذن، فقد كانت تلك المظلة ذبابة شنيعة، استمرت تهبطُ على رأسي، بانتظامٍ، مرةً تلو أخرى.

ولما تأكد لي أنني أواجه مخبولًا، قررت الفرار؛ غير أن الرجل تبعني، واستمر يضربني في صمت؛ فبدأت أركضُ (وعليَّ أن أشير هنا إلى أنه لا يوجد كثيرون أسرع ركضًا مني)؛ فانطلق ورائي، في محاولة فاشلة لضربي؛ وكان ينفخ لاهثًا وقد تقطعت أنفاسُه، حتى ظننتُ أنني إن جعلتُ مُعذِّبي يجري بهذه السرعة، فقد يخرُّ صريعًا في أي لحظة.

(2)

وكان ذلك سبب تباطؤي وعودتي للمشي. ونظرتُ إليه. لم يظهر على وجهه أي أثر للامتنان، أو التوبيخ، وإنما ظل يضربني على رأسي بالمظلة.

وفكرتُ في أنني إن لجأتُ إلى مركز الشرطة قائلًا للضابط إن هذا الرجل يضربني على رأسي بمظلة، فستكون حالتي غير مسبوقة، مما قد يدعو الضابط لأن ينظر إلى متشككًا، وقد يطلب مني أوراقي الثبوتية، ويبدأ يوجه إليَّ أسئلة محرجة، وربما يقرر في النهاية وضعي قيد الاعتقال.

لذلك، رأيتُ أن أفضل ما أفعله هو أن أعود إلى منزلي، فاستقللتُ الحافلة رقم 67، فركب ورائي، وظل طول الوقت يضربني بمظلة. وجلستُ في المقعد الأول؛ فوقف إلى جواري، ممسكًا بيده اليسرى مقبضًا متدليًا من السقف، وفي يده اليمنى مظلة يواصل ضربي بها بلا ككل.

وتبادل الركاب، في بداية الأمر، ابتسامات خجولة، وراح السائق يراقبنا من خلال مرآة الرؤية الخلفية. ثم لم يلبث كل ركاب الحافلة أن استغرقتهم نوبة ضحك مستمر، بينما أنا أحترق خجلًا، وظل من يضطهدني يضربني، غير متأثر بالضحك.

غادرتُ، أو بالأحرى غادرنا الحافلة عند جسر باسيفيكو، ومشينا في شارع (سانتا في)، والناس تحدِّق فينا بغباء. وخطر لي أن أقول لهم: إلام تنظرون أيها الأغبياء؟ .. ألم تشاهدوا من قبل رجلًا يضربُ آخر بمظلة؟. ولكن خطر لي أيضًا أنهم ربما لم يتيسر لهم رؤية مثل هذا المشهد. ثم بدأ خمسة أو ستة أطفال يطاردوننا، وهم يهتفون بجنون.

وفكرتُ في خطة، ففور وصولنا إلى منزلي، حاولتُ أن أغلق الباب في وجهه، غير أن ذلك لم يحدث. ولابد أنه قرأ ما يدور بعقلي، لأنه استولى بقوة على مقبض الباب، واندفع داخلًا معي.

إنه يواصل، منذ ذلك الوقت، يضربني بمظلته على رأسي. وأستطيع القول بأنه لم يحدث أن نام، أو أكل أي شيء. لم يكن يهتمُّ بشيء إلا أن

يضربني، وكان لا يفارقني في كل ما أفعله، حتى في النواحي الأكثر حميمية.

وأتذكر أن ضرباته كانت، في بداية الأمر، تحرمني النوم طول الليل؛ وأعتقدُ أنه من المستحيل الآن أنه لن يغمض لي جفنٌ في غيابها.

(3)

وكانت علاقاتنا، مع ذلك، غير جيدة على طول الخط؛ وقد طلبتُ منه، في مناسبات عديدة، وبكل اللهجات الممكنة، أن يشرح لي سلوكه تجاهي، دون جدوى، واستمر يضربني، وهو صامت، على رأسي بمظلته. وكنتُ أوجه إليه، في أحيان كثيرة، لكمات وركلات، بل وحتى ضربات بالمظلة، سامحني الله. وكان يسمح لي، بخنوع، أن أضربه. ولعله كان يتقبل ضرباتي كما لو كانت جزءًا من مهمته. وهذا هو، تحديدًا، أغرب جوانب شخصيته: هذا الإيمان الثابت بما يفعله، إلى جانب بعده التام عن روح العداء. وباختصار، هو يعتقدُ في أنه إنما ينفذ مهمة سرية، استجابةً لسلطة أعلى.

وبالرغم من انعدام احتياجاته الفسيولوجية، فأنا أعلمُ أنه يشعر بالألم عندما أضربه؛ وأعلم أنه واهنٌ؛ وهو هالك. كما أعرف أن باستطاعتي التخلص منه برصاصة، وإن كنتُ لا أعرف أيهما أفضلُ لتلك الرصاصة، أن تقتله أو أن تقتلني. كما أنني لا أعرف، في حال موت كِلينا، ما إذا كان سيكف

عن ضربي على رأسي بمظلته. وأيًّاً كان الأمر، فإن التفكير على هذا النحو لا طائل من ورائه، وأنا أدرك أنني لن أجرؤ على قتله أو قتل نفسي. ومن ناحية أخرى، فقد تثبَّتُّ، مؤخرًا، من أنني لا عيش لي في غياب هذه الضربات. ويراودني الآن هاجسٌ، آخذٌ في مغالبتي شيئًا فشيئا. وثمة قلق يأكل روحي. قلقٌ مصدرُه الاعتقادُ في أنني ربما لا أجد هذا الرجل عندما تشتد حاجتي إليه، فيرحلُ، فأفتقد لتلك الضربات التي تساعدني على النوم العميق.